والغذا والشراب والفاكهة والحلو والحامض وهو كلا ن رطبا ويابسا ومنافعهما
كثيرة جدا وقد اختلف في الانفع والافضل منهما فرجحت طايفة النخل ورجحت
طايفة العنب وذكرت كل طايفة حججا لقولها ذكرناها في غير هذا الموضع
وفصل الخطاب ان هذا يختلف باختلاف البلاد فان الله سبحانه اجرى العا
دة بان سلطان احدهما لا يحل حيث سلطان الاخر فالارض التي يكون فيها
النخل لا يكون العنب فيها طايلا ولا كثيرا لانه انما يخرج في الارض الرخوة اللينة
المعتدلة غير السبخة فينمو فيها ويكثر واما النخل فنموه وكثرته في الارض
الحارة السبخة وهي لا تناسب شجر العنب فالنخل في ارضه وموضعه انفع
وافضل من العنب فيها والعنب في ارضه ومعدنه افضل من النخل فيها والله
اعلم والمقصود ان هذين النوعين هما افضل انواع الثمار واكرمها واحسنها
وانفعها فالجنة المشتملة عليهما من افضل الجنان ومع هذا فالانهار تجري
من تحت هذه الجنة وذلك اكمل لها واعظم في قدرها ومع ذلك فلم تعدم شيا
من انواع الثمار المشتهاة بل فيها من كل الثمرات ولكن معظمها والمقصود
ها النخل والاعناب فلا تنافي بين كونها من نخيل واعناب وفيها من كل
الثمرات ونظير هذا قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما
جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا الى قوله وكان له ثمر
وقد قيل ان الثمار هاهنا وفي اية البقرة المراد بها المنافع والاموال والسياق
يدل على انها الثمار المعروفة لا غيرها لقوله هنا وله فيها من كل الثمرات
ثم قال فاصابها اي الجنة اعصار فيه نار فاحترقت وفي الكهف واحيط بثمره
فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها وما ذاك الا
ثمار الجنة ثم قال تعالى واصابه الكبر هذا اشارة الى شدة حاجته الى جنته وتعلق

قلبه

قلبه بها من وجوه احدها انه قد كبرت سنه عن الكسب والتجارة ونحوها
الثاني ان ابن ادم عند كبره يشتد حرصه الثالث ان له ذرية فهو حريص
على بقا جنته لحاجته وحاجة ذريته الرابع انهم ضعفا فهم كل عليه لا ينفعونه
بقوتهم وتصرفهم الخامس ان نفقتهم عليه لضعفهم وعجزهم وهذا نهاية
ما يكون من تعلق القلب بهذه الجنة لخطرها في نفسها وشدة حاجته وحاجة
ذريته اليها فاذا تصورت هذه الحال وهذه الحاجة فكيف يكون مصيبة
هذا الرجل اذا اصاب جنته اعصار وهي الريح التي تستدير في الارض ثم
ترتفع في طبقات الجو كالعمود وفيها نار مرت بثمار تلك الجنة فاحرقتها وصير
تها رمادا فصدق والله الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس
ولهذا نبه سبحانه على عظم هذا المثل وحدا القلوب الى التفكر فيه لشدة
حاجتها اليه فقال كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون فلو فكر العا
قل في هذا المثل وجعله قبلة قلبه لكفاه وشفاه فهكذا العبد اذا عمل
طاعة ثم اتبعها بما يبطلها ويفسدها من معاصي الله كانت كالاعصار ذي
النار المحرق للجنة التي غرسها بطاعته وعمله الصالح ولولا ان هذه
المواضع اهم مما نحن بصدده من ذكر مجرد الطبقات لم نذكرها ولا
لكنها من اهم المهم والله المستعان الموفق لمرضاته فلو تصور العامل
بمعصية الله بعد طاعته هذا المعنى حق تصوره وتامله كما ينبغي لما سولت
له نفسه والله اغراق اعماله الصالحة واضاعتها ولكن لا بد ان يغيب
عنه علمه بذلك عند المعصية ولهذا استحق اسم الجهل فكل من عصى الله
فهو جاهل فان قيل الواو في قوله واصابه الكبر واو الحال ام واو العطف
واذا كانت واو العطف فعلى ماذا عطفت ما بعدها قلت فيه وجهان

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)